

خلود المعلا.. المكتفية بالضوء والسحاب



• كتابتها النثرية تكشف عن ثقافة واسعة..

تحمل الشاعرة خلود المعلا درجة البكالوريوس في الهندسة المعمارية، غير أنها في الوقت نفسه، وقبل الدرجة الجامعية، تحمل نزوعاً فطرياً طفولياً إلى هندسة الشعر، ولكن من دون مسطرة ومثلث وفرجار، بل روحها بيت الشعر وغنائيته المتأصلة في وجدانها وفي لغتها - الحرة التي لا تقبل البلاغة الناشفة الجاهزة - ومن هذه العتبة نقرأ شاعرة إماراتية - مثقفة منذ مجموعتها الأولى «هنا ضيّعت الزمن» الصادرة في العام 1997 في القاهرة وإلى اليوم ضمن مسار جمالي بعيد عن المبالغة والتعقيد، بل هو الشعر النقي، الصافي.

تكرر خلود المعلا في شعرها صورتين.. صورة السحاب أو الغيم، وصورة المطر، فمن أين جاءها الشعر؟.. من السماء أم من الأرض، وليس بعيداً إن جاءها من الاثنين. من السماء بوصفه هدية وإلهاماً وروحاً وجودية ذاتية، كما جاءها الشعر من الأرض، ولهذه حكاية، فهي في إحدى حواراتها الصحفية تعود إلى طفولتها وتذكر أن منبع شعرها كان جدّها لأُمّها. الرجل المتدين قارئ القرآن في الفجر، وكان أيضاً شاعراً «يدوّن أبيات قصيدته كلّما لاح طيفها»، لا بل كانت أمّها أيضاً تقول الشعر «كانت شاعرة لها صيتها، وحدها أُمّي، من بين أخواتها أخذت من جدي هذه الموهبة. كانت

بوابتي الثانية، الرّوح التي حلّقت بي في عالم القصيدة وأنا أدوّن قصائدها التي اعتدت أن أكتبها بخطي لها. من خلال «أمي وجدّي دخلت عالم القراءة والكتابة

• فرحة بالحياة

إذاً، من سماء الله وغيومه وسحابه، ومن أرض البشر.. أرض الجدّ والأم تلقّت خلود المعلاّ أوّل وعود الشعر، وحين عرفت أن الكتابة هي مصيرها وخيارها الرّوحي والثقافي توجهت لدراسة اللغة العربية ونالت درجة الليسانس من جامعة بيروت، هذه المهندسة التي وجدت نفسها أيضاً في إدارة المشروعات، لم تجد ذاتها إلّا في اللغة وفي الشعر، مُحاطة بالكتابة، فرحة بالحياة والأصدقاء، ممتلئة بالتفاؤل، وشخصياً أرى أن ما – من شاعر كبير أو شاعرة كبيرة إلّا وقد امتلأ كل منهما بالتفاؤل حتى لو كان اليأس أحياناً يلف العالم، ولكن – ما يعني خلود المعلاّ هو القليل مما يفرح الكتابة. الكتابة بوصفها كائناً وليس فقط – مجرد لغة وصورة.

تنظر خلود المعلاّ دائماً إلى أعلى. تقول: «أحرس السحاب في غفوته كي لا تبدّده الرياح»، وفي مكان آخر تقول: «أفكر في الغيم، فيمطر قلبي عشقاً»، وهما صورتان شعريتان تفصحان عن الروح المتفائلة عند شاعرة تكتفي بالسحاب، لا بل أصدرت في العام 2017 مجموعة بهذا العنوان «أكتفي بالسحاب» وللسحاب رمزياته العديدة: السحاب يحيل إلى الحركة. إلى عدم الثبات. إلى السفر. إلى الانتقال من أفق سماوي إلى آخر. ثم السحاب يحيل إلى المطر. الخصب والوعد والرقّة. وهي معاً واحدة من خصائص شعر خلود المعلا التي يكثر في نصوصها ضمير المتكلم.. «حرّة تماماً/ أنظر من نافذتي الضيّقة/ فأرى الكون كاملاً/ تنجلي أسرارهِ الكبرى/ هكذا/ حرّة تماماً ألون تفاصيلي الصغيرة بلون الثلج».

ضمير المتكلم في الكتابة يكشف غريزياً عن البوح، والرغبة في السرد. في الحكّي. ونرى بشكل عام أن قصيدة ضمير المتكلم هي قصيدة قول أو قصيدة مُحاطبة، ونحن بطبعنا الإصغائي عادة نحب الحكّي، غير أن خلود المعلا لا تغرق في (المتكلم) الحكاء. لا تغرق في سرد يأخذ القصيدة إلى التفصيل والتداعيات والتكرار. بل قصيدتها (ملمومة، مضبوطة) إن جاز الوصف. إنها قصيدة الصورة والبلاغة – الموجزة شأنها شأن شعر قصيدة النثر الشبيهة بالومض. أو الضوء، لا بل كثيراً ما يقال – عن شعر النثر أنه شعر الهمس. شعر الكلام القليل أو شعر الصوت الهادئ – البعيد عن الصخب والقرقعة اللفظية المؤذية.

في العام 1999 أصدرت خلود المعلا مجموعتها (وحدك) في القاهرة، وكانت مجموعتها الأولى (هنا ضيعت الزمن) صدرت أيضاً في القاهرة، أي أن البدايات كانت في مصر، وبالطبع أو بالضرورة ستكتسب خلود المعلا أثراً إيجابياً إبداعياً وفكرياً وجمالياً من البيئة الثقافية والاجتماعية في مصر ذات النخب القارئة بمعايير مثقفة دائماً، وهي ميزة لها أن تصدر شعرها الأول في بلد متعدد «الأعراق الأدبية» إن صحّ القول، ففي مصر تتجاور الشعريات بكل ثقة من دون أي خوف أو حذر من هذا التجاور: العمودي الكلاسيكي إلى جوار التفعيلي، والاثنتان إلى جوار النثر.. ومثل هذه التجاورات في الشعريات المصرية هناك أيضاً تجاورات في الرواية. إلى جانب نجيب محفوظ، يوسف القعيد ويوسف إدريس، وإلى جوارهما الخراط، والغيطاني وصنع الله وإلى آخره من السرديات المتجاورة، أو المتنافرة أحياناً، أو تلك التي تدور في أفلاك خاصّة بها

• تكريس

أردت أن أقول إن خلود المعلا قرأت في تلك البيئة الأدبية الثقافية المصرية الخصبة، وهي ميزة تُسجّل للشاعرة التي ما لبثت أن نشرت مجموعتين في بيروت هذه المرة: «هاء الغائب» و«ربما هنا»، أما مجموعتها «امسك طرف الضوء» الصادرة في العام 2013، فقد صدرت في العاصمة الأردنية عمّان.

.. هل يكرّس الشاعر اسمه على نحو ثقافي أعمق حين ينشر شعره في أكثر من عاصمة أو في أكثر من بلد يتميز بالثراء الثقافي والأدبي – والنقدي؟ ربما، وفي حالة خلود المعلاّ هي بالفعل صوت شعري عربي حاضر في الفعاليات والمهرجانات ومعارض الكتب. شاعرة مقروءة حقيقة بأكثر من قلم نقدي عربي، ونقلت أشعارها إلى العديد من لغات العالم: الإنجليزية، الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية، التركية، واستحقت ثقة نخب شعرية عربية وعالمية – اختارتها بكل محبة عضواً شرفياً في مؤسسة بيت الشعر في كوستاريكا، ومستشارة للمهرجان العالمي للشعر المقام سنوياً دورياً في العاصمة سان خوسيه.

تكتب خلود المعلاّ النثر أو النثر الصحفي في أطر محدّدة، لكن هذه النثرية الإبداعية تكشف عن ثقافة واسعة لها، والأهم من ذلك هو حساسيتها الأدبية الشفافة ورأيها الثقافي بعيداً عن التعصّب لأي – فكر أو شكل من أشكال الكتابة. نقطة مهمة أن نشير إلى عدم وجود أي نزف أو تطرّف في لغة أو في رأي عند هذه الشاعرة التي تلون الكتابة بالغم والضوء مرة ثانية بضميرها المتكلم، وبضميرها الأدبي والثقافي الذي التقى مع شعريات العالم

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024